الباب الرابع

ما قيل في العدل والإنصاف من الأوائل والأسلاف

قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾[1].

وقالَ رسول الله ﷺ: «يُقال للإمام العدلِ يوم القيامة إذا خَرجَ من قبرِهِ: أبشرْ، فإنك رفيقُ محمد ﷺ».

وقال سعيد بن جبير: أكثروا ذِكْرَ عمرَ، فإنه إذا ذُكِرَ عمرُ ذُكِرَ العدلُ، وإذا ذكر العدلُ ذُكِرَ الله.

وقال الضحاكُ في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾[2]: قال ابن عَبّاس: الحاء حربُ قريشٍ، والميمُ ملكُ بني أمية، والعينُ الخلافةُ العباسيةُ، والسينُ غلبةُ السفيان، والقافُ القائمُ بحقِّ الله، يملؤها عدلاً، كما مُلِئَتْ جوراً، وهو المهدي.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا مهدي إلا عيسى بنُ مريمَ».

وقال عمرُ بنُ الخطابِ: مَنْ ينصفِ الناسَ مِنْ نفسهِ يُعطَى الظفرَ في أمرِه.

---

(1) النساء: الآية (135).

(2) الشورى: الآيات (1 - 2).

قال: وحكمَ عمرُ بنُ الخطابِ يوماً حكومة، فزيَّنها بعضُ مَنْ في مجلسه، ورضيها له، فقال له عمرُ: وما يعجبُ ذلك مني، فقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ، وعرفتُ الجنةَ والنارَ، وأعجبُ من عدلي عدلُ (أنوشروان) الكافرِ[1]، فلقد اتخذ قصراً، وأنفقَ فيه مئةَ ألفٍ، فلما دخلَه الناسُ قال: كيف ترونَ بنائي؟ قالوا: ما أجلّه، لولا شطورٌ فيه، قال: نعم ذلك بيتُ العجوزِ لزيقُ حائطي، طلبتُه منها بملىء بيتها وَرِقاً وذهباً، فأبتْ فكرهتُ أن أُضِرَّ بها، وأغتصبها.

قال: ودخل عثمانُ بن عفان ﷺ يوماً على غلامٍ له يعلفُ ناقةً، فرأى في علفِه ما كَرِهَ، فأخذ بأذنِ الغلامِ فعركها، ثم ندمَ فقال لغلامِه: خذ بأذني يا غلام فاعركها!! فأبى الغلامُ، فلم يدعه حتى أخذَ بأذنه، وجعل يقول: شدَّ شدَّ، حتى ظنَّ منه أنه قد بلغ منه ما بلغ به، ثم قال: ولقصاصُ الدنيا قبل قصاصِ الآخرةِ.

ورُئِي عليٌّ بنُ أبي طالبٍ، بيده سيفٌ يبيعه، ويقول: من يشتري مني سيفي، فلو كان لي ثمنُ إزارٍ ما بعتهُ، وكانَ يومئذٍ خليفةً!!

ولّما وَلِيَ عمرُ بنُ عبدِالعزيزِ قالتِ الرعاةُ في رؤوسِ الجبالِ: مَنْ هذا الخليفةُ الصالحُ الذي قامَ على الناسِ؟ قيلَ وما عِلمكُم بذلك؟ قالوا: متى ما قام على الناسِ خليفةٌ صالحٌ، كفّ الأسدُ والذئبُ عن شياهنا.

وقال عبد الرحمن بن جُلَيْبٍ: «مكتوبٌ على سرير (أنوشروان)، على كل قائمةٍ كلمةٌ؛ على أولها: لا تتمُّ الإمارةُ إلا بالرجال، وعلى الثاني مكتوبٌ: لا تكونُ الرجالُ إلا بالأموالِ، وعلى الثالثةِ مكتوبٌ: لا تكونُ الأموالُ إلا بالعمارةِ، وعلى الرابعةِ مكتوبٌ: لا تكون العمارةُ إلا بالعدلِ.

(1) هذه الرواية تحمل في طيها علائم الكذب.

الحكاية

قيلَ: دخلَ بعضُ الزهادِ على بعضِ الخلفاءِ، فقال له: عِظْني وأوجز، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، كنتُ أسافر إلى الصينِ، فقدمتها مرةً، وقد أُصيب مَلِكُها بسمعه، فبكى بكاءً شديداً، فقال له جلساؤه: وما يبكيكَ في ذلك؟ فقال: أما إني لستُ أبكي على البليةِ النازلةِ بأذني، ولكنْ أبكي لمظلومٍ يصرخُ فلا يُؤذنُ له، ولا أسمعُ صوتَه، ثم قال: لو ذهبَ سمعي فإنَّ بصري لم يذهبْ، ثم نادى في الناس: لا يلبس ثوباً أحمرَ إلا المتظلمُ، فكان يركبُ كلَّ يومٍ على الفيلِ، ويدورُ في البلدِ، فكلُّ من رآه، وعليه لباسٌ أحمرُ حكمَ له، ثمّ يبسطُ العدلَ فيهم، حتى لم يبقَ مظلومٌ إلا وانتصف له من ظالِمِه، ثمّ تفرغَ لحاجتِه ولهوه، فهذا يا أميرَ المؤمنين مشركٌ بالله قد غلبتْ رأفتُه بالمشركين، وأنتَ مؤمنٌ بالله، ومن عترة رسول الله ﷺ، فلتغلب رأفتُك بالمسلمين.